﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾ [غافر: 55]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تطمينُ قلب الرَّسول ﷺ بأنَّ وعد الله بالنَّصر قائم في حقِّه كما كان مع موسى عليه السلام

بعد أن تقدَّم الوعد المؤكَّد بنصرة الرُّسل وأتباعهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾، وما تلاه من ذِكر موسى عليه السلام وأمَّته كمصداق واقع لهذا الوعد؛ انتقل الخطاب بعد ذلك إلى الرَّسول ﷺ بالقول: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾؛ ليطمئن قلبه إلى أنَّ وعد الله بالنَّصر قائمٌ في حقِّه وحقِّ المؤمنين معه، كما كان مع موسى عليه السلام ومن معه، على معنى: (ولننصرنَّك - يا محمَّد ﷺ- مثل ما نصرنا موسى، وإن زاد إبراق قومك وإرعادهم، فإنَّهم لا يَعْشُرون فرعونَ فيما كان فيه من الجبروت والقهر والعزِّ والسُّلطان والمكر، ولم ينفعه شيءٌ منه: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾)[1]، وأيضًا فإنَّه لمّا ذكر سبحانه؛ صبر موسى عليه السلام مع فرعون، قال لرسولِه محمَّد ﷺ: (﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على أذى قومك، كما صبر موسى مع فرعون)[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَقّٞ﴾: أصل (حقّ) يدلُّ على إحكام الشَّيء وصحَّته، والحقُّ نقيض الباطل، ويقال حقَّ الشَّيءُ، أي: وجب[3]، والحقُّ يقال على أوجه، منها: أنَّه يقال لموجد الشَّيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 90.
(2) الجمل، حاشية على الجلالين: 6/ 486.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).

قيل في الله تعالى: هو الحقُّ، ومنها أنَّه يقال أيضًا: للموجَد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فِعلُ الله تعالى كلُّه حقٌّ[1]، ومعنى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾، يعني: أنَّ نصرة الرُّسل في ضمان الله، وضمان الله لا يخلف[2].

2) ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: أصل (عشو) يدلُّ على ظلام وقلَّة وضوح في الشَّيء، ثمَّ يفرَّع منه ما يقاربه، فمِن ذلك العشاء، وهو أوَّل ظلام اللَّيل، وعشواء اللَّيل: ظلمته[3]، والعشيُّ قيل: ما بين الزَّوال إلى الغروب، ومنه يقال للظهر والعصر: صلاتا العشيِّ، وقيل: هو آخر النَّهار، وقيل: العشيُّ من الزَّوال إلى الصَّباح، والعِشاءُ: من صلاة المغرب إلى العتمة، والعِشاءانِ: المغرب والعتمة[4].

3) ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: أصل (بكر) يدلُّ على أوَّل الشَّيء وبدئِه، ومنه: البُكْرَةُ، وهي الغداة، والجمع البُكَرُ، والتَّبكير والبكور والابتكار المضيُّ في ذلك الوقت، والإبكار: البُكْرَةُ، كما أنَّ الإصباح اسمُ الصُّبح[5]، والبَكور: المبالغ في البَكرة[6]، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾، أي: دم على عبادة ربِّك والثَّناء عليه بِالعَشيِّ والإبكارِ، قيل: هما صلاتا العصر والفجر، وقيل: الإبكار، عبارة عن أول النَّهار إلى النِّصف، والعشي عبارة عن النِّصف إلى آخر النَّهار، فيدخل فيه كل الأوقات[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خاطب الله تعالى رسوله محمَّدًا ﷺ قائلًا له: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا أيُّها

أمره ﷺ بالصَّبر مع ذكر المعينات عليه حتى بلوغ النَّصر

(1) الراغب، المفردات: (حق).
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 173.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عشو).
(4) الفيومي، المصباح المنير: (عشي)، والراغب، المفردات: (عشا).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بكر).
(6) الراغب، المفردات: (بكر).
(7) الزمخشري، الكشاف: 4/ 173، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 525.

الرَّسول كما صبر مَن قبلك مِن أولي العزم المرسلين: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، أي: ليس مشكوكًا فيه، أو فيه ريبٌ أو كذبٌ، حتَّى يعسر عليك الصَّبر، وإنَّما هو الحقُّ المحض، والهدى الصَّرف، الَّذي يصبر عليه الصّابرون، ويجتهد في التَّمسُّك به أهل البصائر، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصَّبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتَّسبيح بحمد الله تعالى خصوصًا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ اللَّذين هما أفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبَّة ما فيهما؛ لأنَّ في ذلك عونًا على جميع الأمور[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء في قوله: ﴿فَٱصْبِرْ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ تفريع على قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾؛ لترتيب ما بعدها عليه، أي: فاعلم أنّا ناصروك والذين آمنوا، واصبر على ما تلاقيه من قومك ولا تهن[2]، أو أنَّ التَّقدير: إذا عرفت ما قصصناه عليك للتَّأسّي؛ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على ما نالك من أذيَّة المشركين، فإنَّ العاقبة لك[3]، فالفاء على هذا التَّقدير واقعةٌ في جواب شرط مقدَّر[4].

الفاء للتَّفريع، أو هي الفاء الواقعة في جواب شرط مقدَّر

دلالةُ الأمر في ﴿فَٱصْبِرْ﴾ وبيان المخاطَب:

المخاطَب في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ هو الرَّسول محمَّد ﷺ، والأمر بالصَّبر في الآية على ما يظهر مقصود به أن يوطِّن الرَّسول ﷺ نفسه على ما هو واثق به من تحقيق وعد الله له بالنَّصر، وأن

الخطابُ للرَّسول ﷺ ليبرُدَ قلبُهُ الواثق بنصر الله إذا ما تعجَّل وقوعه

(1) السعدي، تفسير السعدي، ص: 739.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 170، وشيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 336.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 330، وشيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 336.
(4) الخطيب وآخران، التفصيل: 24/ 196.

يطَمئِن المؤمنين على أنَّ نصر الله حاصلٌ - لا محالة - والأمر بالصَّبر هنا لا يعني بحال أنَّه ﷺ كان في شكٍّ من وعد الله، فحاشاه، ولكنَّه لتبريد قلبهِ ولتطمين أتباعه، فهو لا يعدو في حقِّه أن يكون من قبيل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1]، أو يكون المقصود بالأمر المؤمنين لتعجُّلهم النَّصر، فيكون كالخطاب في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: 147]، فإنَّه محال أن يكون ﷺ من الممترين، ومثل هذا الخطاب الَّذي يوجَّه إلى الرَّسول ﷺ، وتكون الأمَّة هي المرادة به، إنَّما يكون في القضايا المهمَّة.

نكتةُ فصل قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾:

وعـدُ الله آتٍ، ومَن أصدق مِن الله قيلًا؟.

فصلت جملة: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ عن سابقتها؛ لكونها جملةً تعليليَّة لها[1]، على معنى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾، وثق في نصر الله ووعده لك بذلك؛ لأنَّ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، أو يقال: هي استئنافٌ بيانيٌّ ناشئ عن سؤال عن علَّة الأمر بالصَّبر، فكان الجوابُ: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، أي: لأنَّه كذلك، فيكون بينها وبين سابقتها شبه كمال اتِّصال.

نكتةُ تتابع المؤكِّدات في قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾:

التَّأكيد للاهتمام بالخبر، لا لإزالة شكٍّ لدى المخاطَب

تأكَّد الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بـ ﴿إِنَّ﴾ التَّوكيديَّة ثم باسميَّة الجملة، لا لإزالة شكٍّ ونحوه من قِبَل المخاطَب؛ لأنَّ ذلك غير حاصل لدى المخاطَب، ولكن للاهتمام بالخبر وإفادة تحقيقه، "وهي - أي: ﴿إِنَّ﴾ - في مثل هذا المقام تغني غناء فاء التعليل، فكأنَّه قيل: (فوعد الله حقٌّ)"[2].

نكتةُ إضافة الوعد إلى لفظ الجلالة:

إضافة الوعد إلى لفظ الجلالة، هو من إضافة المصدر لفاعله، وفائدته تعيين الفاعل وتخصيصه لحصر الوصف بالحقِّ في وعده

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 170.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 170.

سبحانه، على معنى: لا وعد حقٌّ دائمًا إلّا وعد الله، وأيضًا لبثِّ الاطمئنان في القلوب لتحقيقه، فهو وعد الله الذي لا يخلف وعده، وقد قال سبحانه في ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [آل عمران: 9]، وقال: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [الروم: 6].

تخصيص الفاعل، وهو الله تعالى وبثُّ الاطمئنان في قلوب الموعودين بالنَّصر

نكتةُ الإضافة إلى الاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ إظهار في محلٍّ كان يمكن فيه الإضمار؛ إذ كان يمكن التَّعبير بـ (إن وعدي حقٌّ)، لكنَّه عدل عنه إلى الاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّه الجامع لجميع الكمالات الَّتي من أعظمها إنفاذ الأمر وصِدق الوعد[1]، ولما في هذا الاسم الجليل من سمات الرَّغبة والرَّهبة، فذِكره يبثُّ الطُّمأنينة في قلوب الموعودين، كما أنَّه يبثُّ الخوف والذُّعر في قلوب أعدائهم.

إظهارُ الاسم الجليل له بواعثه من التَّرغيب والتَّرهيب

نكتة تنكير ﴿حَقٌّ﴾:

التَّنكير في كلمة ﴿حَقٌّ﴾، وهو وصفٌ لوعد الله تعالى لتأكيد تحقُّق وقوعه؛ فوعد الله تعالى حقٌّ لا يخلفه سبحانه أصلًا، فلا بدَّ من وقوع نصره جلَّ شأنه لك وللمؤمنين[2].

نصرُ الأنبياء والمؤمنين من سنة ربِّ العالمين

والتَّنكير كذلك للتَّفخيم والتَّعظيم، والمعنى: فإنَّ الله ناصرك يا محمَّد والمؤمنين معك نصرًا مؤزَّرًا، فقد نصر اللهُ رسلَهُ على ضعفهم وقلَّة ناصرهم، وأظهرهم على أشدِّ أعدائهم، كما كان في قصَّة موسى وما آتاه من أسباب الهدى والنُّصرة على فرعون وجنوده، وإبقاء آثار هداه في بني إسرائيل، والله ناصرك كما نصرهم، ومظهرك على الدِّين كلِّه، ومبلغ ملك أمَّتك مشارق الأرض ومغاربها[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 90.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 330.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 173.

معنى الواو في قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ﴾ عاطفة للأمر بعدها على الأمر بالصَّبر؛ تنويهًا بضرورة الجمع بينهما، وأيضًا بقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، وأنَّها جميعًا مِن أسباب استجلاب النَّصر.

دلالةُ الأمرِ في ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ﴾:

دلالةُ معنى الاستغفار منبثقة عن المعاني المعتبرة في المقصود بالذَّنب المضاف إلى جنابه ﷺ

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ الخطاب فيه للرَّسول ﷺ، وهو أمر له بأن يطلب من الله تعالى المغفرة التي اقتضتها النُّبوءة، أي: اسأل الله دوام العصمة لتدوم المغفرة، أو هو تعريض بأنَّ أمَّته مطلوبون بذلك بالأحرى[1]، أو على جعْلِ الاستغفار كنايةً عمّا يلزمه من التَّواضع وهضم النَّفس والاعتراف بالتَّقصير؛ لأنَّه ﷺ معصوم أو مغفور، لا مصرٌّ ذاهل عن الاستغفار[2].

أو يكون المعنى الاستغفار ممّا لا يعدُّ ذنبًا في الحقيقة، ولكنَّه ما يعرف بخلاف الأولى، وقيل: "هذا تعبُّد من الله تعالى لرسوله ليزيد به درجة، وليصير ذلك سنَّة لمن بعده"[3]، أو لعلَّ الأمر بالاستغفار هو لأجل الأمَّة، أي: استغفر لذنب أمَّتك، "فهو على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه"[4].

دلالةُ السّين والتّاء في ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ﴾، ونكتة حذف المتعلّق:

السّين والتّاء زائدتان للطَّلب وحذف المتعلّق للعلم به

السّين والتّاء تزادان في الألفاظ لتُحَوِّلها إلى معنى الطَّلب، فقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ﴾، معناه: اطلب المغفرة ممَّن يملكها، وهو ربُّك وحده؛ إذ لا غفّار للذُّنوب سواه، ولأجل العلم باسمه سبحانه كمتعلِّق للفعل لم تدعُ حاجة إلى ذكره، وهو مِن المواضع الَّتي يحسن فيها الحذف، فيكون أقوى وأبلغ من الذِّكر.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 171.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 211.
(3) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 336، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 570.
(4) الجمل، حاشية على الجلالين: 6/ 486، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 570.

معنى اللّام في قوله: ﴿لِذَنۢبِكَ﴾:

غفر الله لنبيِّه ﷺ ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر

اللّام في قوله: ﴿لِذَنۢبِكَ﴾ هي لام الأجل، أي: استغفر لأجل ذنبِكَ بناء على ما تقرَّر بيانه في معنى قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ﴾؛ إذ إنَّه ﷺ ليس له ذنب بالمعنى المتبادر إلى ذِهن مَن لا يعرف قدره ﷺ، وقد غفر الله له كلَّ ما مِن شأنه أن يؤخذَ عليه ممّا هو خلاف الأولى، كما قال تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: 2 - 3].

دلالةُ التَّعبير بالذَّنب وإضافته إلى ضمير المخاطَب:

النَّبيُّ ﷺ يرتقي مراتب الكمال

الذَّنْبُ في الأصل: الأخذ بذنَب الشَّيء - أي: مؤخِّره - يقال: ذَنَبْتُهُ: أصبت ذنَبه، ويُستعمل في كلِّ فعل يُستوخم عقباه اعتبارًا بذنَب الشَّيء، ولهذا يُسمّى الذَّنْبُ تبعةً، اعتبارًا لما يحصل من عاقبته[1]، ويُطلق الذَّنْب على الإثم والجُرم والمعصية[2]، وهو بهذه الدَّلالة لا يتلاءم وإضافته إلى ضميره ﷺ، فيحمل معناه هنا على ترك الأفضل والأولى[3]، أو هو كلُّ عملٍ كامل ترتقي مِنه إلى أكمل، وحال فاضل، فيكون ذلك شكرًا[4]، ويحتمل أن يكون الخطاب في هذه الآية له ﷺ، والمراد أمَّته، أي: إنَّه إذا أمر هو بهذا؛ فغيرُهُ أحرى بامتثاله[5].

نكتةُ تقديم الأمر بالصَّبر على الأمر بالاستغفار والتَّسبيح:

اقتضاءُ السّياق، وحاجة الاستغفار إلى الصَّبر

تقدَّم الأمر بالصَّبر في الآية الكريمة على الأمرِ بما بعدَهُ من الاستغفار والتَّسبيح؛ لاقتضاء السّياق ذلك، فالكلامُ إنَّما هو عن وعدِ الله لرسوله والمؤمنين بالنَّصر، وهو مع اليقين من قِبل الموعودين بوقوعهِ قد يُستبطَأ لعدم معرفة الحِكمة من تأخيرهِ،

(1) الراغب المفردات: (ذنب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والفيومي، المصباح المنير: (ذنب).
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 52.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 90.
(5) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 4/ 564.

والنُّفوسُ عادةً مائلة إلى التَّعجيل بوقوعه، وربَّما ارتقى الحال إلى السُّؤال عن سبب تأخيره، كما ورد في الكتاب العزيز ما يدلُّ عليه، وذلك في قوله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: 214]، فجُعِلَ الأمران معطوفَين على الأمر بالصَّبر؛ لأنَّ الصَّبر هنا لانتظار النَّصر الموعود[1]، وهنالك سبب آخر هو أنَّ الصَّبر خُلُق يحتاجه المؤمن في كلِّ حالاته في العبادات والعادات، فيكون كلٌّ من الاستغفار والتَّسبيح مِمّا يحتاج فيهما إلى الصَّبر، وهو الصَّبر على الطّاعة، وهذا سببٌ آخر يرجِّح تقديمه على ما بعده.

نكتةُ عطفِ الأمر بالتَّسبيح على الأمرَيْن السّابقَيْن:

عطف الأمر بالتَّسبيح بالواو على الأمرَيْن السّابقَيْن، وهما الأمر بالصَّبر والأمر بالاستغفار؛ للإشارة إلى أنَّ ثلاثتها من أسباب استدعاء النَّصر وتحقُّقِ وقوعه.

نكتةُ تقديمِ الاستغفار على التَّسبيح وتأخيره عنه في سورة النَّصر:

دورُ السّياق وتأثيره في التَّقديم والتَّأخير

من اللّافت في هذه الآية تقديمُ الاستغفارِ على التَّسبيح بحمد الله، بينما قدَّم في سورة النَّصر التَّسبيح عليه؛ إذ قال سبحانه هنا: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾، وقال في سورة النَّصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النَّصر: 1 - 3]، والسّياق هو المتحكِّم، فآيةُ سورة غافر كان الحديث فيها عن عوامل وقوع النَّصر واستدعائه؛ كي يقع، فقدَّم الاستغفار؛ لأنَّه يساعد على محو الذُّنوب، ثم يأتي بعد ذلك التَّسبيح لتعمير الصَّفحات بالحسنات، وعلى قاعدة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 171.

تقديم التَّخلية على التَّحلية وهي وإن كانت قاعدة عامَّة، إلّا أنَّها في استدعاء النَّصر لها فاعليَّة خاصَّة؛ إذ النَّفس التي ترنو إلى تحقيق المقاصد العالية ينبغي أن تطهِّر ذاتها من أدرانِ الخَطيئة بالاستغفار حتى تتهيَّأ بعد ذلك لرفع طاقتها وتجديد نشاطها بالتَّسبيحِ، وأمّا في سورة النَّصر؛ فكان الكلام عن النَّصر بعد وقوعهِ، وهذا يقتضي أن يُقدَّم ما حقُّه أن يكون شكرًا لله على ما امتنَّ به من النَّصر، ولذا قدَّم التَّسبيح بحمد الله.

معنى الباء في قوله: ﴿بِحَمْدِ﴾:

الباء في قوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ للملابسة، وهي ملابسةُ الفاعل لفعله، والمعنى: سبِّح حامدًا ربَّك، فموقع المجرور موقع الحال[1].

نكتةُ إضافة الحمد إلى لفظ الرُّبوبيَّة:

أُضيفَ لفظُ الحمدِ إلى لفظ الرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ لإفادة الاختصاص، فإنَّه لا يُسبَّح إلّا بحمده سبحانه، ولا أحد يستحقُّ كمال الحمد إلّا كامل الإنعام والإحسان سبحانه.

كـامـلُ الإنـعـام سـبـحـانـه هو المستحقُّ للحمد الكامل

وإيثار إضافة الحمد إلى اسم الرَّبِّ عند تعلُّقه بالتَّسبيح بحمد سبحانه هي عادة قرآنيَّة صادقتها آياتٌ عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: 97 - 98]، وقوله جل شأنه: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: 130]، وقوله تباركت أسماؤه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: 48]، وغيرها كثير في القرآن الكريم.

نكتةُ التَّعبير بلفظ الرُّبوبيَّة مضافًا إلى ضمير المخاطَب:

أوثِرَ التَّعبيرُ بلفظ الرُّبوبيَّة مضافًا إلى ضمير المخاطَب، وهو

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 338، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 570.

فضلُ اللهِ على نبيِّه محمَّد ﷺ عظيم

النَّبيُّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ للدَّلالة على عظيم نعمة الله على نبيِّه محمَّد ﷺ، وإكرامه له، وإحسانه إليه، ففضلُ الله على نبيِّه عظيمٌ، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: 113]، فكأنَّه يُقال له في هذه الآية: أثبت الإحاطةَ بأوصاف الكمال للمحسن إليك المربّي لك، ولا تشتغل عنه بشيء[1].

معنى الباءِ في قوله: ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾:

الباءُ للظَّرفيَّة الخاصَّة بالوقتين المذكورين أو المستغرقة لكلِّ الأوقات

الظّاهر أنَّ الباءَ في قوله: ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ للظَّرفيَّة، أي: إنَّها بمعنى (في)، وذلك جائز من حيث إنَّ الباءَ للإلصاق، والملاصق للزَّمان والمكان حاصل فيهما[2].

ثمَّ اختلفَ هل هذه الظَّرفيَّة متعلِّقة بخصوص هذين الوقتَين وقت العشيِّ ووقت الإبكار؟ فقيل: المرادُ بالعشيِّ والإبكار صلاةُ العصرِ وصلاةُ الفجرِ، أي: إنَّ "الإبكار كنايةٌ عن صلاة النَّهار، أو أن يكون (الإبكارُ) كنايةً عن صلاة الغداة، و(العَشيُّ) كنايةً عن صلاة العشاء"[3]، واتُّكِئَ في هذا على كون السّورة مكيَّة، وأنَّ الصَّلاة الواجبة في مكَّة قبل فرضيَّة الصَّلوات الخمس كانت صلاتين في وقتَي العشي والبكور، أي: "ركعتَين بُكرةً وركعتين عشيًّا"[4]، وقيل: هي الظَّرفيَّة المستغرقة لكلِّ الأوقات، على أنَّ العشيَّ والإبكار طرفان يستغرقان ما بينهما، ويكون المرادُ بالتَّسبيح حقيقته، وأنَّه ﷺ أُمر "بتسبيح الله تعالى وتنزيهه بالعشي والإبكار، أي: الأوقات كلها، فاقتصر على طرفَي أوقات العمل"[5]، ويكون تخصيص هذين الوقتين بالذِّكر؛ لكونهما أفضل الأوقات، بما يكون فيهما "مِن الأوراد

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 91.
(2) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن: 2/ 13.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 41.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 281.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 171، والماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 41.

والوظائف الواجبة والمستحبَّة"[1]، ولكونهما من أوقات الغفلة؛ لأنَّ النّاس مشتغلون فيهما بمصالحهم المهمَّة[2]، ولكونهما مشهودين، تحضرهما ملائكة اللَّيل وملائكة النَّهار حسبما ورد في حديث: «يتعاقبون فيكم ملائكةٌ باللَّيل وملائكة بالنَّهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألُهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم، وهم يصلّون، وأتيناهم، وهم يصلّون»[3].

نكتةُ تقديم العشيِّ على الإبكار:

السّياق ورعايةُ الفواصل هما سرُّ تقديم (العشي) على (الإبكار)

وردت كلمتا (العشي والإبكار) في مواضع متعدِّدة في الكتاب العزيز وبصيغ مختلفة، فمِنها العشيُّ والإبكار كما هو هنا في سورة غافر وفي سورة آل عمران: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: 41]، ووردت في موضع آخر، لكن بكلمة الإشراق بدل الإبكار في قوله: ﴿يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾ [ص: 18]، ووردت بصيغة (بكرة وعشيًّا) في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم: 11]، وفي سورة مريم: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾ [مريم: 62]، وللتَّرتيب بينهما تقديمًا وتأخيرًا في كلِّ موضع أسرار يحكمها السّياق، وممّا لفت إليه البقاعي في سبب تقديم العشي على الإبكار في آية سورة غافر الَّتي معنا ما جاء في قوله: ولمّا كان المقام لإثبات قيام السّاعة، وكان العشيُّ أدلَّ عليها؛ قدَّمه، فقال: ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾، فإنَّ تقلُّبهما دائمًا دلَّ على كمال مقلبهما وقدرته على إيجاد المعدوم

(1) السعدي، تفسير السعدي، ص: 739.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 266.
(3) صحيح البخاري، حديث رقم: (555).

المحوق كما كان وتسويته[1]، ويمكن تعليله أيضًا بأنَّ العشي من اللَّيل والإبكار من النَّهار واللَّيل مقدَّم في الزَّمن على النَّهار، من حيث إنَّ اليوم يبدأ بليله لا بنهاره، ويلفتنا الشَّيخ أبو موسى إلى علَّة أخرى هي أنَّ وقت العشي هو وقتُ الخلود إلى الرّاحة بعد الكدِّ والعناء والدَّأب، فالحاجة فيه إلى الاستغفار أقوى لما تتطلَّبه مراجعة النَّفس ومحاسبتها في آخر اليوم، وعليه "فحمل النَّفس في هذه الحالة على الاستغفار والتَّسبيح من القربات العظيمة"[2].

نكتةُ الطِّباق بين اللَّفظتَيْن:

طباقُ الإيجاب جمالٌ في التَّعبير وعمقٌ في المعنى وتحفيزٌ على أداء المطلوب فيهما

لا شكَّ أنَّ المقابلة بالتَّضاد بين كلمتَي (العشي والإبكار) فضلًا عمّا في عموم المقابلات من جمالٍ في التَّعبير، فإنَّ المعنى الذي يبرز في ذكر هذين الوقتين الشَّريفين من جهة كونهما أفضل الأوقات للذِّكر والاستغفار والتَّسبيح، هو ممّا يحفِّز على النُّهوض فيهما بالقيام بذلك، ويضاف إليه أيضًا ما قد تدلُّ عليه هذه المقابلة مِن استغراقٍ لكلِّ الأوقات من حيثُ كونُ العشيِّ والإبكار طرفين لما يتوسَّطهما من الوقت، أي: استغراقها في الطّاعة والعبادة ومنها الاستغفار والتَّسبيح وأداء الصَّلوات وإتقان الأعمال والإخلاص فيها، وهذا النَّوع من الطِّباق هو طباق الإيجاب.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 91.

(2) أبو موسى، آل حم غافر وفصلت، ص: 196.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»